

ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام)

إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضي الله عنه)

دراسة في اللفظ والتركيب



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٤٢١٩ لسنة ٢٠١٧

سلسلة دراسات في عهد الإمام
علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) (١٧)

وحدة العلوم اللغوية

ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضي الله عنه)

دراسة في اللفظ والتركيب

تأليف

م. د. سحر ناجي المشهدي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1439 هـ - 2017 م



العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: 07728243600 - 07815016633

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء
بما قدم من عموم نعمٍ ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها
والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله
الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة
النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني
والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم

السلام أجمعين).

وإنَّ خير ما يُرجع إليه في المصاديق لحديث الثقلين «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحية النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) لمالك الأستر (عليه الرحمة والرضوان) إلا أنموذج واحد من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية، التي اكتنزت في متونها الكثير من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وفكره، متّخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية، التي هي من أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان وإصلاح متعلقاته الحياتية، وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية وموسومة بـ(سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، التي تصدرها المؤسسة بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية، التي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة والمفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

وكان البحث الموسوم بـ(ألفاظ طبقات الرعية في عهد الامام علي عليه السلام إلى واليه الصحابي مالك الأشتر رضوان الله عليه دراسة في اللفظ والتركيب) تحت عنوان الدراسات اللغوية اذ

كشفت فيه الباحثة عن طبقات المجتمع التي ورد ذكرها في عهد الإمام علي عليه السلام مع ما تمتاز به كل طبقة.

فجزى الله الباحثة خير الجزاء فقد بذلت جهدها وعلى الله أجرها والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسيني الكربلائي
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

كان العرب في أقطار الجزيرة العربية في بساطة عيشهم لا يفهمون دقائق القوانين وأنواع المعاش من زراعة وتجارة وقضاء؛ لانعدام ممارستها في حياتهم، فدعاهم الاسلام الى العقائد، والأخلاق، ونشر الاسلام مهد السبيل في مصر؛ لوجود الأقباط، والفلاسفة، والبطالسة الذين مارسوا الحياة المدنية، ولما تجلت الإمامة لأمرنا، ومولانا علي بن ابي طالب (عليه السلام) هياً تعاليم الدين المهمة، فكان صدور عهده هذا لواليه الصحابي مالك الأشتر (رضوان الله عليه) بمثابة إنشاء حياة جديدة في مصر وسنرى في حديثنا في هذا البحث ما تمخض

من هذه الحياة.

فقد عهد الإمام عليه السلام ولاية عن أمور مصر بأجمعها ومنها (الأمور المالية والاقتصادية من جمع الخراج، الأمور العسكرية، الأمور الاجتماعية، عمران البلاد) ولا نجد ذكراً للعاطل عن العمل، وبذلك فإننا لا نجد لمن لا عمل له ذكر في هذا العهد مما يدلُّ على عناية الإمام بتنظيم أمور الحياة فلا وجود لعاطلين، إذ إنَّ المجتمع الإسلامي متساو في الحقوق والواجبات، ويتضح التنظيم الإداري للدولة اتجاهاً مواطئها، فتتشكل أعمدة المجتمع؛ إذ أقام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حكومة أساسها العدالة، والمساواة، وجاءنا بأروع، وأوثق الوصايا، والعهود في عالم الإنسانية، وعهده للصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه) أكبر مثال على ذلك، إذ عُدَّ وثيقة دولية أذهلت الشعوب من أقصى الشرق وحتى الغرب، وعبرَّ

فيه عن دروس وقيم إنسانية، وأخلاقية في تولية الحاكم والوالي، وتعامله مع رعيته، فقد أكد مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ونبّه على الاختيار القائم على الكفاءة، فقدم طبقات الرعية على وفق تقسيم أذهل الجميع، نجد خطابه العلوي السياسي على طريقة أخلاقية لا يتغى به السيطرة على الأمة؛ بل إبداء الرأي والمشورة، فأشاع العدل، وربط بين صلاح الحاكم واستصلاحه مع حفظ حقوق الرعية، ووضع ركيزة أساسية في تعامل الناس، فأسس منهج قائم على التعاليم الإسلامية، ومجتمع متساوي في جميع الحقوق والواجبات، فقدم مفهوم الطبقات جاعلاً طبقة الجنود هي الأولى؛ لأهميتهم في حفظ الأمن والسلام، وإقامة أركان المجمع الإسلامي، وأخرّ الحديث عن الطبقة السفلى؛ لأنها القسم الأكبر في المجتمع، ولحاجتها لجميع الطبقات

المتقدمة، لتتحقق العدالة الإنسانية سواء أكانت السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، ومضى ساعياً لرفع الظلم والغبن خلال الفترة التي حكم فيها. ومحققاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١)، فقد أوصى العهد العلوي لمحاولة تأسيسية معرفية منها تجنب الوالي لزلزلاته، ورفقه بالشعب، يقول جورج جرداق (للإمام علي بن أبي طالب في حقوق الإنسان وغاية المجتمع أصول وآراء، تمتد لها في الأرض جذور وتعلو لها فروع)^(٢)؛ لذلك حق لنا تشبيه الامام بالسيف المسلط على الطغاة والجبابة والرأسالميين آنذاك، ولا بد لنا ونحن نخوض في غمار البحث عن طبقات الرعية ان نعطي مفهومها عن معنى الطبقات.

(١) النحل / ٩٠.

(٢) علي وحقوق الانسان: ١١١ .

الطَبَقَةُ:

الطَّبَقُ: عَظِيمٌ رَقِيقٌ يَفْصَلُ بَيْنَ الْفَقَارِينِ، وَطَبَّقَ بِالسَّيْفِ عُنُقَهُ، أَبَانَهُ، وَهُوَ كُلُّ غَطَاءٍ لَازِمٍ، وَالسَّمَاوَاتُ طَبَائِقٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَاحِدَتُهَا طَبَقَةٌ، وَالطَّبَّقُ: جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَعْدِلُونَ طَبَقًا مِثْلَ جَمَاعَةٍ، وَجَاءَ فِي الْمَثَلِ (وَافِقٌ شَنْنٌ طَبَقَةٌ)^(١).

وَعَرَّفَهَا ابْنُ فَارِسٍ (ت ٣٩٥ هـ) بِقَوْلِهِ: (الطَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى وَضْعِ شَيْءٍ مَبْسُوطٍ عَلَى مِثْلِهِ حَتَّى يَغْطِيَهُ. مِنْ ذَلِكَ الطَّبَّقُ. تَقُولُ: أَطَبَّقْتُ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ طَبَقٌ لِلثَّانِي؛ وَقَدْ تَطَابَقَا،... وَالطَّبَقُ: الْحَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ وَقَوْلِهِمْ: (إِحْدَى بِنَاتِ طَبَقٍ) هِيَ الدَّاهِيَةُ، وَسُمِّيَتْ

طبقة، لأنها تعمُّ وتشمل. ويقال لما علا الارض حتى غطاها: هو طبق الارض^(١)

وَالطَّبَقُ غِطَاءٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَاجْمَعُ أَطْبَاقٌ، وَقَدْ أَطْبَقَهُ وَطَبَّقَهُ انْطَبَقَ وَتَطَبَّقَ: غَطَّاهُ وَجَعَلَهُ مُطَبَّقًا؛ الطَّبَقُ: كُلُّ غِطَاءٍ لَازِمٍ عَلَى الشَّيْءِ. وَطَبَقُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا سَاوَاهُ، وَجَمَعَهُ أَطْبَاقٌ؛ مِنْهُ قَوْلُهُمْ: وَافَقَ شَيْئٌ طَبَقَهُ.. وَالسَّمَاوَاتُ الطَّبَاقُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمُطَابَقَةِ بَعْضِهَا بَعْضًا أَيْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿أَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى طِبَاقًا مُطَبَّقٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَنَصَبَ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا مُطَابَقَةُ طِبَاقًا، وَالْآخَرُ مِنْ نَعْتِ سَبْعٍ أَيْ خَلَقَ سَبْعًا ذَاتَ طِبَاقٍ. وَمَضَى طَبَقٌ مِنَ النَّهَارِ وَطَبَقَ مِنَ اللَّيْلِ أَيْ سَاعَةً، وَكَذَلِكَ طَبَقَاتِ النَّاسِ كُلُّ طَبَقَةٍ طَبَقَتْ زَمَانَهَا. وَالطَّبَقَةُ:

(١) مقاييس اللغة: ٣ / ٤٣٩، علما أن الآية الواردة هي

الحَالُ، يُقَالُ: كَانَ فُلَانٌ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى
أَيَّ حَالَاتٍ. وَالطَّبَّقُ وَالطَّبَّقَةُ: الْحَالُ. وَفِي التَّنْزِيلِ:
لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ؛ أَيَّ حَالًا عَنْ حَالٍ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قِيلَ لِلْحَيَّةِ أُمَّ طَبَقٍ وَبِنْتُ طَبَقٍ
لَتَرْحِيهَا وَتَحْوِيهَا، وَقِيلَ: قِيلَ لِلْحَيَّاتِ بَنَاتُ طَبَقٍ
لِإِطْبَاقِهَا عَلَى مَنْ تَلَسَّعَهُ، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ لَهَا بَنَاتُ
طَبَقٍ لِأَنَّ الْحَوَاءَ يُمَسِّكُهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الْأَسْفَاطِ
المُجَلَّدَةِ^(١). وتعني المرتبة والمنزلة التي تقسم عليها
فئات المجتمع، ولفظة (الطبقة) للإشارة إلى طبقات
المجتمع. وقد شاع هذا الاستعمال في عهده عليه
السلام إلى مالك الأشتر رضوان الله عليه في سياق
وصيته له بمرعاة الفروق بين الطبقات. إذ يقول في
سياق ذكره آخر طبقة من طبقات المجتمع: الفئة أو
المرتبة الخاصة بالفقر والضعفاء من الرعية.

واستعمل لفظ (طبقات) بصيغة الجمع، إذ خصصها الإمام للدلالة على مراتب الناس، فقال في سياق تقسيم الرعية على مراتب، ولفظ (طبقات) - هنا - عام لا يختص بفئة من هذه الطبقات، وإنما هو إشارة الى تعدد هذه الدلالة جاء في فئات الرعية ومنازلهم من حيث المنزلة الإدارية، أو من حيث الغنى والفقر، وقد حوى كتاب الامام في عهده للصحابي مالك الاشر هذه الطبقات لارتباط بعضها ببعض فحاجة الاول منوطة بالثاني وبمجموعهم يقوم صورة المدينة، فبدأ بالجنود؛ لأنهم الاصل شؤون الحياة المادية والمعنوية، ولتنظيم القوانين والاسس التي من شأنها الرفعة والرقي من الشرائع السماوية، ثم الكُتّاب، وقضاة العدل،.... الى أن وصل الى الطبقة الاخيرة وهم (الفقراء والمحتاجون)، وقد ذكر الامام سبع من طبقات المجتمع الاسلامي في عهده الى واليه على

الكوفة الصحابي مالك الاشر (رضوان الله عليه)
وهي:

١. جنود الله
٢. كتاب (العامة والخاصة)
٣. قضاة العدل
٤. عمال الإنصاف والرفق
٥. أهل الجزية والخراج (من أهل الذمة ومسلمة
الناس)
٦. التجار وأهل الصناعات
٧. الطبقة السفلى: الفقراء والمحتاجون.

قال الإمام علي (عليه السلام) في خطابه
للصحابي الجليل مالك الأشر (رضوان الله عليه):
«وَأَعْلَمُ: أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا
بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ
اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ
الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عَمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ

الْجُزْيَةِ وَالْخُرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ،
وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى
مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ سَهْمَهُ
وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ
(صلى الله عليه وآله) عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا»^(١).

فالرَّعِيَّةُ عامَّةُ النَّاسِ، وهي مفردة جمعها رعايا،
وهم أناس يخضعون لسلطة الحاكم أو الوالي، فقد
قسَّم الرَّعِيَّةَ على طبقات فذكر (الجنود، والكتاب،
والقضاة، والعمال، وأرباب الجزية من أهل الذمة
وأرباب الخراج من المسلمين، والتجار، ومنهم
أرباب الصناعات، وذوو الحاجة والمسكنة، ولا بد
لهم جميعاً من التجار؛ لان البيع والشراء لاغناء
عنه^(٢).

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤ .

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٤ .

قدم الجنود لأهميتهم وأخر التجار واهل
الصناعات ثم اردفهم بالفقراء والمحتاجين. وجملة
(منها جنود الله) اسمية قدم الخبر لأنه ظرف فقال:
«ولابد لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات؛
فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقىمونه من
أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه
رفق غيرهم»^(١).

فأوصى بهم؛ لأنهم دعامة من دعائم الاقتصاد،
وقد أخرج الحديث عنهم لاهتمامه بهم.

سنبدا بأولى الطبقات وهي:

١. الجنود:

جمع جند وواحد جندي وهو العسكر. وهم
كل صنف من الخلق، وفي الحديث: «الأرواحُ

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤

جنودٌ مُجَنَّدَةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، يستعمل للمفرد والجمع فيقال: هذا جُنْدٌ وهؤلاء جُنْدٌ^(١).

فالجيم والنون والذال يدلُّ على التجمع والنصة. يقال هم جنده اي اعوانه ونصّاره، والجند الأرض الغليضة فيها حجارة بيض، واصله الجلد^(٢).

ويقال للعسكر الجندُ اعتباراً بالغلظة من الجند، من الارض الغليظة التي فيها حجارة؛ لذا يقال لكل مجتمع: جندٌ. نحو: الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ، وجمعه: أجنادٌ وجُنودٌ^(٣).

ولرُبِّ سائلٍ أن يسأل لم أوصى الامام عليه السلام عامله بهم وجعلهم اولى الطبقات؟ والاجابة

(١) ظ: العين: ٦ / ٨٥ - ٨٦ .

(٢) ظ: مقاييس اللغة: ١ / ٤٨٥ .

(٣) ظ: المفردات في غريب القرآن: ١ / ١٣١ .

تكون ان اضافة الامام للفظ جنود الله فنسبهم اليه ؛ لتشريفهم وتقديسهم ولمكانتهم فهم من يرفعون راية الاسلام ويذلون الطغاة والاعداء، ولأنهم (حصون الرعية، زين الولاية، عز الدين)^(١).

قال الإمام: «قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمَامِكَ، [وَأَنْقَاهُمْ] جَيْبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ»^(٢)، وهم حماة الدولة والمجتمع، واستعار لهم لفظ (الحصون) لأنهم يحفظون الرعية فيحاطونهم كالحصن، وهم زينة للولاية فالوالي بلا جنود لا يبالي به، وهو عز للدين، ولفظ العز لاسم اللازم، ولفظ الأمن من باب اللزوم للجند، فقد تصدرت هذه الطبقة

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٥ / ٣٩٦ .

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤ .

فئات المجتمع كافة؛ لأنهم حصون الأمة والامن والدفاع وهم زينة الولاية، وقد جاء النهج بكلا الجمعين (جُنْدٌ وَجُنُودٌ)؛ فلكل منهما مزية تختلف عن الأخرى، فلفظ (جُنْدٌ) على زنة (فُعْلٌ) من أبنية المفرد، ويدلُّ على صنف من الخلق.

وذكر سيبويه إن الجمع على بناء العدد الأدنى (أفعال) فيقال جند وأجناد وجاءوا بـ (فَعُول) لإرادتهم الكثرة^(١).

ومنها قوله «كُنْتُمْ جُنْدُ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعُ الْبَهِيمَةِ»^(٢)، فجعل جند المرأة هم طلحة والزبير ومن سار مسارهما للدلالة على التحقير والتوبيخ، زيادة على ذلك في اضافتها الى لفظ (المرأة) ما يدل على ضعفها، وهذا ما أكده المعنى القرآني في قوله: ﴿جُنُودٌ

(١) الكتاب: ٣ / ٥٧٦ .

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤ .

مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١﴾.

ف (أنصحهم، انقاهم، أفضلهم) كلها تدل على
المفاضلة، وبدأ عهده بفعل الأمر (ول)، وجيباً: تمييز
لقوله (أنقاهم)، و(حليماً) تمييز لقوله (أفضلهم)،
و(اتكالا) مفعول لأجل الفعل (تدع)، و(أفضلهم
عن الغضب) متعلق ب(يبطيء) ويفيد المجاوزة، وقد
تفرع من الجند (إدارة الشرطة وحراس الامن، إدارة
الجيش الحافظ للأمن)، وكنى عن العفة والأمانة
بقوله (أنقاهم جييا) وهي صفات ذاتية روحية
تتعلق بالجنود أكثر من تعلقها بجباة الخراج

١ . أنصح الجند لله والرسول والإمام

٢ . أظهرهم جييا

٣ . أفضلهم حلماً

٤ . يبطيء الغضب

٥. يستريح الى العذر
 ٦. يرأف بالضعفاء
 ٧. ينبو على الأقوياء
 ٨. لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف
- وهنالك صفات موضوعية:

١. من ذوي المروءات والاحساب
 ٢. من اهل البيوتات الصالحة والسواق الحسنة
 ٣. من اهل النجدة والشجاعة
 ٤. من اهل السخاء والسماحة
- «ثُمَّ الصَّقُّ بِذَوِي المُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ
الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الحُسْنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ
النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ
مِنَ الكَرَمِ وَشُعَبٌ مِّنَ العُرْفِ.
- ثُمَّ تَفَقَّدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الوَالِدَانِ مِنْ
وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا

تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى
بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدْعُ تَفْقَدَ
لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ
لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا
يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ»^(١)، أكدَّ على (أنقاهم جيباً): كناية
عن الاخلاص والنزاهة، فجعل الالتصاق بـ(ذوي
الاحساب، أهل البيوتات الصالحة، أهل النجدة
والشجاعة، والسخاء، والسماحة)، فجعل الالتصاق
بمثابة التقريب ممن عرفهم الناس بمكارم الاخلاق،
ومن جمل تعليماته: ضابطة الاسرة والبيت، و(من)
في قوله إنها جماع من الكرم، وشُعَب من العرف)
زائدة، وعلى قول الاخفش (جماع الكرم) أمّا ابن
ابي الحديد فاحتمل كونها تبعيضية على حقيقتها، وفي
قوله « تفقد من أمورهم الضمير يرجع الى الجنود لا

الامراء^(١).

فالانتساب لبيت صالح، واسرة معروفة دعامة لقيامه، والضابط الثاني: حال الفرد بنفسه ومن صفاته (النجدة، الشجاعة، السخاء، السماحة). و(ثم الصق): حرف عطف يفيد التراخي، ول من جنودك في الدرجة الثانية من ذوي الأحساب، (أهل النجدة) تراخ ثانٍ، و(لا يتفاقمَن) نهي مؤكد، و(يتنفعون به) جملة فعلية صفة لقوله: موضعا.

وآثر: اسم تفضيل من الأثرة: أحبهم، على الجندي أن يتصف بأوصاف تستحق مقام الولاية، فقد انأت في عهد الامام مدارس ومعاهد لتعليم الضباط وتربية الامراء والضباط، فيوجه الاسلام بتوجيهات روحية فعليه ان يتصدى للعدو بالروح والايهان وليست قوة الجسد وحدها كفيلة بالنصر،

(١) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٤٨ .

فعلية ان يكون ناصحا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وللإمام عليه السلام، وأن يكون طاهر القلب ليتجنب الفواحش، وثابتا في الحلم غير متسلط على نفسه، وعافيا صافحا عن المذنب، حليما صبورا، فإن ذلك كله عوامل هامة في تقوية الجندي ورفع معنوياته. ولا بد لأختيار رئيسا للجيش ناصحا لأتمه، ومخلصا لدينه: لأن قيادة الجيش عبء ثقيل وخطير^(١).

وأكمل الامام (عليه السلام) قائلا: «وَلْيَكُنْ أَثَرُ رُؤُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مَنْ جِدَّتْهُ بِمَا يَسْعُهُمْ يَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مَنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي

الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وُلاةِ أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهْرُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضْمَنْ بِلَاءَ امْرِيءٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ، وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفَ امْرِيءٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفَ امْرِيءٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا. وَارْذُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)، فَالرَّدُّ إِلَى

الله: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ
بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ»^(١).

وعليه فإنَّ قائد الجنود محصنا ضد الاغراءات
فيكشف النص أن هنالك معان ركز عليها الإمام في
شخصية القائد، فأشار بصفات ذاتية تتواءم وعقيدة
الإسلام، وأردفها بموضوعية تمت اكثر صلة الى
المفهوم القبلي^(٢).

وأثر رؤساء الجنود وأمراء الجند من يواسيهم
ويوفر لهم المعونة، فإن أراد القائد أن يستمع
له الجيش فعليه أن يحسن اليهم ولا يقتصر على
خصوص رواتبهم المحدودة ومؤونة أهلهم الذين
خلفوهم في منازلهم بعيدا عنهم.

ولا بدَّ لهم من سد حاجاتهم ويتم بتحصيل

(١) المصدر نفسه .

(٢) ظ: الخطاب في نهج البلاغة: حسين العمري: ١٩١ .

الخِراج؛ فقد يكون مالا، وقد يكون محصولا زراعيا،
وبعد تحصيل الخراج لابد من وجود القضاة والعمال
والكتّاب، وكل الطبقات لابد لها من (التجار وذوي
الصناعات) مما يلزم ان يتصف به الجندي لكون
ايمانه بروحه وقوة عقيدته.

٢. كِتَابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ:

فكِتَابُ الْعَامَّةِ هُم مَن يَجْرُونَ الشُّؤُونَ الْعَامَّةِ
كَالضَّرَائِبِ، وَالْخَاصَّةِ مَن يَحْرُرُ لِشَخْصٍ مَعِينٍ؛
كَالْقَاضِي أَوْ الْوَالِي، أَوْ أَمِيرِ الْجَيْشِ الْمُتَصَدِّقِ
لِكِتَابَةِ الْعُقُودِ وَالْمَعَاهِدَاتِ وَالْحَقُوقِ، فَالْكِتَابُ: خَرَزُ
السِّيءِ بِسِيرٍ، وَالْكِتَابُ وَالْكِتَابَةُ: مُصَدِّرَانِ، وَالْكِتْبَةُ:
اِكْتِتَابُكَ كِتَابًا تَكْتِبُهُ وَتَنْسُخُهُ^(١).

وَعَرَّفَتْ أَصُولَ حُرُوفِهِ بِأَنَّ الْكَافَ وَالْتَاءَ وَالْبَاءَ
أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. مَن ذَلِكَ

الكتاب والكتابة. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتباً. ومنه الكتاب الفرض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١). الكتاب: معروف وجمعه كُتِبَ وكُتِبَ، والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة والكتاب: مطلق: التوراة، ويجوز ان يكون القرآن، وهو الصحيفة والدواة، وما كتب على بني آدم من أعمالهم، والكاتب والكتّاب معروفان^(٢).

الكتّاب (ضمُّ أديمٍ الى أديمٍ بالخياطة، والأصل في الكتابة: النظم بالخطِّ لكن يستعار كلُّ واحدٍ للآخر، ولهذا سُمِّيَ كلام الله وان لم يكتب كتاباً، كقوله تعالى:

(١) ظ: مقاييس اللغة: ٥ / ١٥٩، علماً أنَّ الآية الواردة هي سورة البقرة / ١٨٣ .
(٢) ظ: لسان العرب: ١ / ٦٩٩ .

﴿ألم * ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

وقال (عليه السلام): «ثُمَّ أَنْظِرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَأَخْصِصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُودِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ، فَيَجْتَرِيءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأَ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيْرَادِ مُكَاتَبَاتِ عَمَلِكَ عَلَيْكَ، وَإِضْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، وَفِيهَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارَكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ

(١) ظ: المفردات: ٢ / ٥٤٧، علماً أن الآية الواردة بالبقرة / ١ - ٢.

وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ
اخْتَبَرَهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمَدُ لِإِ
حْسَنِهِمْ كَانِ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا،
فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِئِنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ.
وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ، لَا
يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ
فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزِمْتَهُ»^(١).

جاء بجمع كاتب على زنة (فُعَّال) واطراف
كاف الخطاب، وقسمهم على صنفين (كتاب العامة:
الذين يتصدرون لكتابة العقود والمعاهدات، ذهب
الشارح ابن ابي الحديد الى ان المراد بهم الوزراء قائلًا:
«الكاتب الذي يشير إليه الامام هو الذي يسمى
الآن في الاصطلاح العرفي وزيراً، لأنه صاحب تدبير
الأمير والنائب عنه في اموره»^(٢)

(١) ظ: نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤ .

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٦٢ و ظ: الاحكام السلطانية ٢٢٦٥

وأشار الى الشروط الواجب توافرها في الوزير بقوله: «واخُصَّصَ رسائلك التي تدخل فيها مكائيدك وأسرارك أجمعهم» فأختر من أهل الوعي والفتنة بحيث لا يندع ويؤخذ من غير شعور، ومن أهل الدين والوفاء أيضا، يفى بالعهد، ويحافظ على الأمانة ويقدم الواجب لا يتهاون فيه ويحرص على سمعته وكرامته، ولا تبطره الكرامة وتجعله اخ لك) واختبرهم على مقياس الحقيقة باختلاف طبيعتها، فالحقيقة الدينية تقاس بالوحي من الله سبحانه، واختيار الكتاب من الوجهة الاخلاقية ورعاية الامانة والصدقة، فيجب ان يكون تقيا يراد منه مصالح العمل، ومن اخير الرعية، وحافظا للسر، وحسن الاثر ومعروفا بالامانة وأشار ابن ابي الحديد الى ان الكاتب هنا (الوزير) لانه النائب عن الامير واليه تصل مكتوبات العمال وعنه تصدر الاجوبة، وذهب الخوئي الى أن الكتابة في عصرنا

منصب ممتاز، وفي العصور السابقة ايضاً، فكان يشتغل بالكتابة وانشاء ما يهيم من الكتب، الا انه لا يدل على كون الكاتب وزيراً. وهم درجات: كاتب السر وهو من أجمع الكتّاب للأخلاق الصالحة، غير خفيف المزاج، كاتب الديوان عليه مكاتبات العمال حافظاً يقظاً لا يسامح في اصدار جواب الكتب فطنا لائقاً في تنظيم العقود والعقود بين الوالي والرعايا ويجرى لهم اختباراً ليتعرف على صلاحيتهم^(١).

٣. قضاة العدل:

العدلُ صفةُ الله وبه اراد في بعثه للأنبياء، ويعد الامام اول من فصل عمل السلطين التشريعية والتنفيذية، قال (عليه السلام): «ثُمَّ لَا قَوَامَ لَهُذَيْنِ

(١) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢٢٧ و ظ: في ظلال النهج: ٥ /

الصَّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَّالِ
وَالْكِتَابِ، لِمَا يُحْكُمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ
مِنَ الْمُنَافِعِ، وَيُؤْتَمُّونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ
وَعَوَامِّهَا»^(١).

فالقضاء: الحكم، وقضى يقضي قضاء وقضية:
حكم، ومنه الوصية قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ﴾، وقضاء الشيء: فناءه وذهابه^(٢)، فالتقاف
والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدلُّ على
إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى:
﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي أحكم
خلقهنَّ، والقضاء هو الحكم قال تعالى: ﴿فَأَقْضِ
مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ اصنع واحكم، ولذا سمي القاضي

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) ظ: العين: ٥ / ١٨٥، علماً أنَّ الآية الواردة هي من سورة
سبأ / ١٤.

قاضياً ليحكم الأحكام وينفذها^(١).

فالقضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً

وكل واحدٍ منهما على وجهين: إلهي وبشري فمن
الأول قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ
كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا﴾^(٢).

فأمر بذلك، ومن الثاني قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي
بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ
اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣)، والقضاء من الله تعالى
أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر
هو التقدير والقضاء هو الفصل والقطع^(٤).

(١) ظ: مقاييس اللغة: ٥ / ٩٩ .

(٢) الإسرائيليات / ٢٣

(٣) غافر / ٢٠ ظ: المفردات: ٢ / ٥٢٥

(٤) ظ: المصدر نفسه .

وقد حددت شروطا مهمة لانتخابه منها (ان يختار بالتعيين، وألا تضيق به الأمور، واسع الصدر، عفيفا لا يقضي بالهوى، وألا يعلن الحكم النهائي الا بعد التحرير والتدقيق، والا تطريه الأقوال،. ثم أشار باسم الاشارة (اولئك) اي الذين اكتملت فيهم هذه الصفات (قليلون)^(١) قال (عليه السلام): «وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتِهِمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَنِهِمْ عَلَى وُلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُورِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِثْبَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي أَمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى دُورَ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ يَهْرُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاِكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٢).

(١) في ظلال النهج: ٥ / ٤١٦

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

وقرة العين: الفرح والسرور، والحيلة على زنة (شيمة) تعرض الامام لأمرء العدل، لإرتباط إجراء العدل في البلاد بالجنود من وجوه شتى، فالجند هو المالك والقائم بالسيف في الرعية فالقوة والقدرة على إجراء الامور بيده.

أمور البلاد تحتاج الى قانون يتضمن تعيين الحقوق والحدود بين الأفراد، وعند وقوع الخلافات والنزاعات وقوة اجراء القوانين فقوى المجتمع التي هي اركان شعب (القوة المقننة والقضائية والمجرية) ومن هنا كان لوجود القضاة أهمية في عهد الامام قائلاً: «ثُمَّ اخْتَرْتُ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ. وَلَا يَكْتَفِي بِأَذْنِي فَهَم دُونَ أَقْصَاهُ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخُصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ

عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ،
 مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأُولَئِكَ
 قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدْلِ
 مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقَلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطَاهُ
 مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ،
 لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانظُرْ فِي ذَلِكَ
 نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي
 الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهُوَى، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا»^(١).

فممارسة القاضي لمهنته أهمية كبيرة، وأوصى بهم
 فلا يضيق عليهم ولا تمحكهم الخصوم، ويكون
 مستقلا. «وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه
 غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له
 عندك فلا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم»،
 اختلف فيه فذهب ابن ابي الحديد: جعله ما حكا

اي لجوجا، وقيل: كناية عن كونه ممن يرتضيه
الخصوم^(١).

وذهب الخوئي قدس سره الى القول: (يمكن ان
يكون كناية عن كونه بشدة صلابته في أمره وهيبته
ايمانه وتمسكه بالحق بحيث لا يطمع الخصوم في
جعله محكا يمتحنونه هل يقبل الرشوة ام لا وهل
يؤثر فيه التطميع والتهديد أم لا)^(٢).

والا يتمادى في الزلة، ولا يحرص من الرجوع الى
الحق اذا عرفه فالقضاء من شؤون النبوة، والرئاسة،
دقيقا في كشف القضية.

٤. عمال الانصاف والرفق:

الولاية ممن يعينهم الخليفة أو الوالي لإنصاف
الناس.

(١) ظ: شرح النهج: ١٧ / ٤٠ .

(٢) منهاج البراعة: ٢٠ / ٢٠٥-٢٠٦.

العمالة: أجر ما عمل لك، والمعاملة: مصدر
عاملته، والعمّلة: الذين يعملون بأيديهم ضرورياً
من العمل حَفراً وطيناً، ونقول: أعطه أجر عملته
وعمله^(١).

العمل: العين والميم واللام أصلٌ صحيح،
وهو عام في كل فعل يُفعا، قال الخليل: عَمِلَ عَمَلًا
فهو عامل، اذا عمل بنفسه. والعمالة: أجر ما عَمِلَ.
والمعاملة: مصدر من قولك عاملته، وأنا أعامله
معاملة^(٢).

والعملُّ: كلُّ فعل يكون من الحيوان بقصد
فهو أخصُّ من الفعل لأنَّ الفعل قد يُنسب إلى
الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد
ينسب إلى الجمادات، ويستعمل للأعمال الصالحة

(١) ظ: العين: ٢ / ١٥٤ .

(٢) ظ: مقاييس اللغة: ٤ / ١٤٥ .

والسيئة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾^(١).

«ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تُؤَوِّهُمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجُورِ وَالْحِيَانَةِ وَتَوْخٍّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحِيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْأَسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحُ أَعْرَاضًا، وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا»^(٢)

جاء في هذا الفصل في ذكر طبقة (العَمَّال) واختلف فيهم؛ فقال ابن أبي الحديد هم (عمال السواد والصدقات والوقوف والمصالح فانهما جماع

(١) المفردات: ٢ / ٤٥٢، علمًا أنَّ الآية الواردة هي النساء /

من شعب الجور والخيانة^(١).

وقال الخوئي: (لا وجه لاختصاص كلامه
بصنف من العمال، بل المقصود منه مطلق العمال
ومن يلي أمر ناحية من البلاد)^(٢).

و زاد البحراني (فيتحفظ من خيانة الاعوان من
العمال، فأستعار لفظ التقليد لتعليق نسبة التهمة اليه
ملاحظة لشبهها بما يقلد به من الشعار المحسوس
واللفظ في غاية الفصاحة «فإنهم جماع من الجور
والخيانة» ففي عهد عثمان العمال الشاغلين للاعمال
كانوا شعب الجور والخيانة)^(٣).

وذهب الخوئي الى أنهم جماع من شعب الجور
والخيانة على الانتخاب بالمحاباة والأثرة من التكلف

(١) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٤٧ .

(٢) منهاج البراعة: ٢٠ / ٢١٦ .

(٣) ظ: شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٧٣ .

والتعسف، فهذا الانتخاب جور وخيانة لانه لا ينطبق عليه انه شعب الجور والخيانة الا بالتكلف فهذا الكلام راجع الى العمال الشاغلين للاعمال قبل حكومة الامام^(١)

وذهب محمد جواد مغنية الى القول: (ان هذا المقطع خاص بعمال العامل وحده اي الوالي المنصوب من الامام. أجل، إنّ الخطاب خاص بظاهره، ولكن المراد به العام، لأنّ الكفاءة التي ذكرها كشرط للاختيار والتوظيف - تعم كل عامل وموظف دون استثناء)^(٢). فاستعمالهم يتم بعد اختبارهم وتجربتهم افعال الامر (انظر، استعمل، توخ، اسبغ) و(أهل التجربة: مفعول للأمر توخ والمتقدمة صفة لـ(البيوتات)، أخلاقاً: تمييز من النسبة في قوله (أكرم)، (إلاّ بهم) استثناء مفرغ، وعملهم

(١) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢١٦ .

(٢) في ظلال النهج: ٥ / ٤١٨ .

الاشراف على مصالح الناس، وقد اسند الامام كاف الخطاب الى الوالي الصحابي مالك الاشر (ثم انظر في امور عمالك)، وقد أوصاه أن مواصفات يجب ان يتحلوا بها امينا ناصحا، كما هو حال اختياره للولاء، وذكر سبب ذلك «فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية» ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ، ثُمَّ تَفَقَّدُوا أَعْمَاءَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حُدُوءٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحْفَظُ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةِ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ

نَصَبْتُهُ بِمَقَامِ الْمُدَلَّةِ، وَوَسَمْتُهُ بِالْحَيَانَةِ، وَقَلَّدْتُهُ عَارَ
التُّهْمَةِ».

وواضح عودة الضمير في (هم) اليهم «قوة
لهم... وغنى لهم... وحجة عليهم وواضح اسباب
الاهتمام بهم فلا يحتاج الى تفسير، وتجدر الاشارة الى
الاهتمام البالغ من قبل الامام الى (العمال (الموظفين)
فيتلافى الامام الضرر والفساد بقوله (اسبغ الارزاق
عليهم)

«ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من اهل
الصدق والوفاء عليهم» فيعد مبدأ التفتيش عن
الموظفين كما هو حال القضاة^(١).

قال في حقهم وفي سياق كلامه عن اصحاب
الجمل: «فقدموا على عمالي، وخرَّان بيت مال
المسلمين الذي في يدي، وعلى أهل مصر، كلهم في

(١) في ظلال النهج: ٥ / ٤١٩ - ٤٢٠ .

طاعتي وعلى بيعتي، فشتتوا كلمتهم، وأفسدوا عليّ
جماعتهم، ووثبوا على شيعتي، فقتلوا طائفة منهم
غدرا»^(١)

أضاف ياء المتكلم للفظ (عماليّ)؛ لينسبهم اليه،
وعطف عليهم لفظ (خزان بيت مال المسلمين)
وخزان على زنة (فُعَال) الذي يدلُّ على المبالغة
والكثرة؛ فمجيئه بهذا البناء يدلُّ على كونهم
أفضل العمال وأنقاهم، وأوصى الامام بجملته من
الأمر التي تتعلق بانتخاب طبقة العمال: فيجب
ان يكونوا من أهل البيوتات الصالحة إذ نجد فيهم
كرم الاخلاق وصيانة العرض وقلة الطمع والحلم
والتأني في عواقب الامور^(٢).

أوصى بأن تسبغ الأرزاق والرواتب عليهم،

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٥ / ٤٢١

كيلا تتعرض نفوسهم للاختلاس من أموال الخراج فهم (وكلاء الامة وسفراء الاثمة)، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة «فالتجربة المعرفة شرط اساسي للكفاءة، واضيف اليها الأمانة.

٥. عمال الخراج:

انتقل الامام بعد حديثه عن (الجنود، والقضاة، والعمّال) الى الخراج، والعمالة: أجر ما عمل لك. والمعاملة: مصدر عاملته، وقولنا: أعطه أجر عملته وعمله^(١).

فالعين والميم واللام أصل صحيح واحد، وهو عام في كل فعلٍ يُفَعَل، والعمالة: أجر ما عمل، والمعاملة: مصدر من قولك عاملته، والعملة: القوم

(١) ظ: العين: ٢ / ١٥٤ .

يعملون بأيديهم ضرورياً من العمل^(١).

قال امامنا (عليه السلام): «وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخُرَاجِ
بِمَا يُضْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً
لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ
النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخُرَاجِ وَأَهْلِيهِ. وَلْيَكُنْ
نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ
الْخُرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ
الْخُرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ. أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ،
وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً، فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ
انْقِطَاعَ شَرِبٍ أَوْ بَالَةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ،
أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ
يُضْلِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّتْ بِهِ
الْمُؤُونَةُ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ دُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ
بِلَادِكَ، وَتَرْزِينِ وَلَايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ

ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِدًا
فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ،
وَالثَّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ
بِهِمْ، فَرَبَّيَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ
مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمَرَانَ
مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ
إِعْوَازِ أَهْلِهَا، إِنَّمَا يُعْوَزُ أَهْلُهَا لِأَشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ
عَلَى الْجُمُعِ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ
بِالْعِبَرِ»^(١).

والخراج هو المصدر الوحيد في عصره لخزانة
الحكومة وما يقوم مقام المصارف من سد (أرزاق
الجند، رواتب العمال والخدم). ومراده بـ(تفقد أمر
الخراج) استيفاءه من قبل الجبّاة كاملاً من دون
زيادة أو نقصان، لأن نقصانه ظلم يضر مصالح

الرّعية، وزيادته يضرُّ من يدفعه، فأوصى عماله بالرفق والاستماع للمصالح. الفرق بين الخرج والخراج هو أنّ الخرج: ماتبرعت به، أمّا الخراج: مالزمك أداؤه، قال بعضهم: الخرج من (الرؤوس) والخراج من الأرض، وهذا يعني أنّ الخرج مبلغ غير منتظم. وغير متكرر يُدفع إلى شخص مُعيّن مقابل تقديم خدمة عليه

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾^(١)، أمّا الخراج فهو مبلغ معلوم يُدفع بصورة منتظمة، ومتكررة في نهاية كلّ حولٍ أو محصولٍ من قبل مستثمري الأرض إلى الدولة^(٢).

قال الطريحي: (إنّ اسم الخراج يطلق على

(١) الكهف / ٩٤.

(٢) ظ: الاسلام والاقتصاد: ٥٠.

الضريبة، والفِيء، والجِزْيَة، والغلّة، ومنه خراج
العراقين)^(١).

ولنا في الخراج أنواع: - (الزَّكَاة، الحُمُس، الجِزْيَة،
الفِيء، الغنيمَة)^(٢)، ويُعدُّ أحد واردات الدولة
الإسلامية وهو «الضَّريبة التي كانت تُدفع لخزينة
الدولة عن الأراضي التي احتلها المسلمون حتى
لو أسلم صاحبها. ويختلف مقدار الخراج بحسب
نوعية الأرض وطريقة ريعها وإستغلالها ونوعية
المحصول. وكانت هذه الضَّريبة عادةً تُفرض على
محاصيل الجبوب والأشجار المثمرة. وكانت تُدفعُ
سنويًا بعدَ الموسِم»^(٣).

(١) مجمع البحرين: ١ / ٦٣٢

(٢) على نحو ما درسناه في اطروحتنا للدكتوراه (ألفاظ الحياة
الاقتصادية في نهج البلاغة - دراسة ومعجم -)

(٣) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية: ابراهيم سلمان وعبد
التواب شرف الدين: ١٢٨ .

استعمله الإمام (عليه السلام) للدلالة على (خِراجِ الأرضِ)، قائلاً في كتابه السابق إلى الصحابي الأشتر النخعي (عليهما السلام): «وَمِنْهَا أَهْلُ الْجُزْيَةِ وَالْخِراجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ»^(١)، إذ فصل الإمام (عليه السلام) هنا الناس إلى طبقات: وذكر أرباب الخراج من المسلمين، وخصَّ بصرف الخراج الجُند والقُضاة والعُمَّال والكتَّاب؛ لما يحكمونه من المعاهد، ويجمعونه من المنافع، ولا بدَّ لهم جميعاً من التُّجار لأجل البيع والشراء الذي لاغناء عنه^(٢).

إذ قال: «ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخِراجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ فِي جِهَادٍ..... وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخِراجِ، لِإِنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخِراجَ بِغَيْرِ عِمَارَةِ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ،

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٧ / ٥٦ .

وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا^(١). فَضَّلَ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ
(أبلغ) عمارة الارض على استجلاب الخراج .

إذ لا حياة للدولة ولا الجنود أو أية هيئة أو فردٍ
إلاَّ بالنفقة الكافية لسدِّ الحاجات، ومن البديهي
أنَّه لا موارد للدولة إلاَّ بفرض الضَّرائب وجبايتها
وقد أقرَّ الإنكليزي الاقتصادي (آدم سميث) شروطاً
أربعة للضرائب: فتفرض على النَّاس بنسبة قدرتهم
على تحملها، وتنطبق على (فريضة الخُمس والزكاة
والجزية) في الإسلام وأن تكون معينة، وأن تُجَبَى
بدون إزعاج وتُنْتَظَم بحيث لا تُكَلِّف الشَّعب إلاَّ
الضَّروري لخزينة الدَّولة^(٢).

دعوة الإمام (عليه السلام) للصحابي مالكٍ

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤ .

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٥ / ٤٠٠ - ٤٠١ . وظ: السياسة

المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام): ٩١

(رضوان الله عليه) حين ولّاه إدارة شؤون مصر الإهتمام بأرباب الخراج (وهم المستثمرون الزراعيون)؛ لأن الاراضي التي عليها الخراج أراضٍ واسعة تتميز بالخصوبة وزراعة المحاصيل المهمة كـ(الحنطة والشعير والتمر والزبيب) إذ يتحقق للدولة فيها مورداً كبيراً، لذا أكد الإمام (عليه السلام) أهمية تفقد أمر الخراج (فعلى العمال أن ينصفوا الناس من أنفسهم ويصبروا على قضاء حوائجهم فهم خزان الرعية ووكلاء الامة، فالإمام (عليه السلام) يقرأ المستقبل إذ يبصر نهاية الأحداث قبل بدايتها فالنتيجة ستكون خراب البلاد أو صلاحها، وأوصى الإمام (عليه السلام) بعمارة الأرض أكثر من إستجلاب الخراج . وهو عهد من الراعي إلى رعيته فالأمّة عيال على الخراج، فأعطى للخراج قيمته، وطريقة صرفه فإن إهتم بالأرض وعمارها تيسر الربح، وانتقل هنا من سياق حديثه عن

العَمَّال إلى ذكر أرباب الخراج، فقال: تفقد أمرهم، لأنَّ الناس عيال عليهم، وكان يقول: استوصوا بأهل الخَراج؛ فإنَّكم لا تزالون سمانا ما سمنوا. ورُفِعَ إلى انوشروان^(١) أنَّ عامل الأهواز قد حمل من مال الخراج ما يزيد على العادة؛ وربما يكون ذلك قد أجحف بالرَّعية، فوقع: يرد هذا المال على من قد استوفي منه؛ فإنَّه تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه، ثم قال: «فان شكوا ثقلا» أي: ثقل طسق. وهو شبه الخراج له مقدار معلوم؛ وليس بعربي خالص، ويعني الخراج المضروب عليهم، أو ثقل وطأة العامل وارتفاع نسبة الخراج. قال: «أو علة» كإصابة الغلة آفة كالجراد أو البرق أو البرد أو إنقطاع شرب: نقص المياه في الأنهار، أو مطرًا أو

(١) أنوشروان بن قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام وهو ملك كسرى .

إحالة الأرض أو اتلفت بالعطش أو بالة، قلة مياه الأمطار، فإن لحقها ذلك فأمرهم بالتخفيف، وهو بمنزلة التجارة التي لا بدَّ فيها من إخراج رأس المال وإنتظار عوده وربحِه^(١).

فإن شكوا (ثقلًا): إرتفاعا في نسبة الخراج إلى حجم الإنتاج، أو (علَّة): الأمراض التي تصيب المحاصيل الزراعية، والظروف الجوية والمناخية التي تُميتُ المحاصيل، أو إنقطاعاً في المياه المتأتية من الأنهار، أو بالة: نقصاً في مياه السَّقي من الأمطار؛ لقلتها، أو تلفاً في المحاصيل بفعل الأمطار الغزيرة، أو (عطشًا) بسبب الجفاف.

فإنَّ نسبة الخراج ستقل إلى الحد الذي يُعطي التكاليف والخسائر، فمعظم الجباية إنما هي من

(١) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٧ / ٥٦، وظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢١٩.

الفلاحين والتُّجار، فإنَّ إنقبُصَ الفلاحون عن
الفِلاحة، وقعدَ التُّجَّار عن التِّجارة ذهبت جملةً،
والدَّولة هي السُّوق الأعظم للعالم، ومعظم السَّواد،
ونفقاتهم أكثرُ مادةً للاسواق، وتضاعف الأرباح في
المتاجر، فيقل الخراج لذلك، لأنَّ الخراج والجباية
في الإعتاد، والمعاملات عائد بالطبع على الدَّولة
بالنقص؛ لِقِلَّتِهِ عند السَّلطان بقلةِ الخِراج^(١).

وأوصى الإمام (عليه السلام) العاملين على
جباية الخِراج والصدِّقات بأداب عامة تتضح في
قوله: «إنطلق إلى تقوى الله وحده لا شريك له،
ولا تر وعَنَ مُسْلِماً، ولا تتجازنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ
منه أكثر من حقِّ الله في ماله، فإذا قدمت على الحَيِّ
فانزل بمائهم من غير أن تخالطَ أبياتهم، ثم أمضِ
إليهم بالسَّكينة والوقارِ حتى تقومَ بينهم فتسلم»

(١) ظ: السياسة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام): ١٠١

عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول، عبادُ الله أرسلني إليكم وليُّ الله وخليفته لآخذَ منكم حقَّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم حق فتؤدوه الى وليه. فان قال قائل، لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه فلا تخيفه، او توعده، او تعسفه، أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهبٍ أو فضةٍ فاذا كان له ماشية او ابل فلا تدخلها إلا بإذنه»^(١)

فوصف الإسلام حق الله ما فرضه الشرع للمجتمع من ضرائب وهي لبيت المال تُوزع على الرعية بالعدل، فخاطب عامله أمره بالإنطلاق على بركة الله حتى يحسن في التصرف مع أهل الخراج، وألا يسيء إليهم بالترويع والتهديد والتخويف، أو بالتسلط عليهم وإكراههم على دفع حقوق الله والاعتداء بأخذ الأكثر من المقرر، ثم

فَصَلَ ذلك قائلًا: بأن عليه ألا يسكن في بيوتهم؛ بل ينزل في مائهم (خارج بيوتهم) للسلامة له من أية إشاعة أو قول يُساء إليه، إذ أَنَّ السَّكْنَ بين البيوت يُعَرِّضُه إلى التعرف على الأمور والأسرار التي لا يرغب سُكَّان الحَيَّان يفشوها الى الغرباء، فذلك مِمَّا يُعَزِّزُ مكانة المسؤولين (الجُبَّاة) ويجعل لهم هيبه في عيون الناس والخليفة، ومثال على ذلك رفض الإمام (عليه السلام) التَّصَرَّف الذي قام به عثمان بنُ حنيف وهو عامله على البصرة؛ إذ دُعِيَ من قبل أهالي البصرة على وليمة فقبلها، ومما لاشكَّ فيه أَنَّ هنالك أموراً ترتبت على قبول هذه الدَّعوة^(١).

فَالخَرْجُ والخَرَجُ: «ما يخرج من المَال في السَّنة بقدرٍ معلومٍ»^(٢).

(١) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٣١٠

(٢) ظ: العين (مادة خرج): ٤ / ١٥٨

قال ابن فارس: (الخاء والراء والجيم اصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، إلا أنا سلكتنا الطريق الواضح. فالاول: النفاذ عن الشيء. والثاني: اختلاف لونين. فأما الأوّل فقولنا خرج يخرج خروجاً. والخِرَاج بالجسد. والخِراج والخُرْج: الإِتاوة؛ لأنه مال يخرج المعطي»^(١).

والخُرْج والخِرَاج، واحد عند بعض اللغويين: وهو شيء يخرج القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم^(٢).

قال الزجاج: الخرج المصدر، والرعية تؤدى الخرج الى الولاية، والخُرْج والخِراج: الإِتاوة: «وهي هدية المَلِك»^(٣).

(١) مقاييس اللغة: ٢ / ١٧٥

(٢) ظ: معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: ١٦ .

(٣) ظ: المصدر نفسه .

وفي علم المالية الحديث: «هي مبلغ من المال يفرض جبراً على مالك العقار بنسبة المنفعة التي عادت إليه من الأعمال العامة التي قامت بها الدولة أو الهيئات المحلية، ولفظ الأتاوة غير مستعمل عند الفقهاء؛ بل المستعمل عندهم: الكلف السلطانية، النوائب، المكوس، المغارم، الضرائب^(١)».

وفسّر ابن الأثير «الخراج بالضمان» قائلاً: «يريد بالخراج ما يحصل من غلة العين المتباعة عبداً كان أو أمة أو ملكاً، وذلك أن يشتريه فيستغله زماناً، ثم يعثر منه على عيب قديم لم يطلع البائع عليه، أو لم يعرفه فله رد العين المبيعة وأخذ الثمن؛ ويكون للمشتري ما استغله، لأن المبيع لو كان تلف في يده لكان من ضمانه، ولم يكن له على البائع شيء^(٢)».

(١) معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: ١٦

(٢) ظ: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢٥٨

ويجمع على أخراج واخراج وأخرجة. وفي التنزيل: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١).

قال الزجاج: الخراج الفيء، والخرج الضريبة والجزية، وقريء: أم تسألهم خراجا، قال الفراء: أم تسألهم اجراً على ما جئت به، فأجر ربك وثوابه خير. والخرج أعمُّ من الخراج جعل الخرج بإزاء الدخل^(٢).

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(٣).

وقيل: العبد يؤدى خرجه أي غلته والرعية

(١) المؤمنون / ٧٢

(٢) ظ: معاني القرآن: الفراء: ١٠ / ٢٠٤

(٣) الكهف / ٩٤

تؤدى الى الامير الخراج. وفي الإصطلاح الفقهي:
حقوق تؤدى عنها الى بيت المال، ذلك ان
الفلاحين الذين يعملون فيها قد اكتروها بغلة
معلومة، «وليكن نظرك في عمارة الارض.....»
فالعناية بالارض وزراعتها هو المخرج لحل الازمة
الاقتصادية وهو المورد الاول لبيت المال، فالعمران
محتمل ما حملته فعلى الدولة ان تهتم بالمزارعين فهم
الذخر الحقيقي^(١).

٦. التجار وذوي الصناعات:

انتقل الامام عليه السلام هنا الى ما يصلح امر
الامة وركناه (التجارة والصناعة) فبدأ بالجند،
ثم القضاة، والعمال والموظفين، ثم أهل الخراج،
والكُتَّاب، وجعل الطبقة السادسة عن (التُّجار
وأهل الصناعة)، اذ حثنا ديننا الحنيف على هذين

(١) ظ: الخطاب في نهج البلاغة: ١٧٢

العملين. قال الإمام (عليه السلام) بعد أن ذكر الطبقات: «وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُتَمِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرِهِمْ»^(١).

والتَّجَرُّ والتَّجَارَةُ بمعنى واحد وهو الجمع من تاجر، أرضٌ مَتَجَرَةٌ: يُتَجَرُّ إليها^(٢).

فالتاء والجيم والراء: التجارة معروفة، يقال تاجر وتَجَّرُ بمعنى واحد^(٣).

أما الصَّنَاعَةُ: فالصُّنَاعُ: هم الذين يعملون بأيديهم، وامرأة صَنَاعٌ: الصناعة الرقيقة بعمل يديها، والمصانع: ما يصنعه العباد من الأبنية والآبار

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤ .

(٢) ظ: العين (مادة تجر): ٦ / ٩١ .

(٣) ظ: مقاييس اللغة: ٣ / ٣٤١ .

والأشياء^(١).

فالصاد والنون والعين أصل واحد صحيح، وهو عمل الشيء صنْعاً. وامرأة صنَاع ورجل صنَع إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه^(٢).

فالتجارة: التصرف في رأس المال لطلب الربح^(٣).

فبدأ بـ(التجار وذوي الصناعات) فأوصى واستوصى بهم، قائلاً: «ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ حَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ، وَالمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ المُنَافِعِ، وَأَسْبَابُ المُرَافِقِ، وَجَلَابِهَا مِنَ المُبَاعِدِ وَالمُطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِمْ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلَا يَجْتَرُّونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سَلْمٌ لَا

(١) المفردات في غريب القرآن: ١ / ٩٤

(٢) العين: ١ / ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٣) ظ: مقاييس اللغة: ٣ / ٣١٣.

تَخَافُ بَائِقَتَهُ وَصُلْحُ لَا تُخْشَى غَائِلَتَهُ، وَتَقْفَدُ أُمُورَهُمْ
بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ.

وَاعْلَمَ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا،
وَشَحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ،
وَذَلِكَ بَابُ مَضْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ، فَاْمَنْعَ
مِنَ الْاِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)
مَنْعَ مِنْهُ. وَلِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ،
وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحَفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ فَمَنْ
قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَانْكَرْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي
غَيْرِ اسْرَافٍ»^(١).

أوصاف وصف بها أهل التجارة فتدلُّ دلالة
قاطعة على أنَّ أكثرهم كانوا من الكادحين لسد
حاجتهم والعيش بأمان، واستوص فعل لمفعول
محذوف تقديره: أوص نفسك، (وأوص بهم خيرا)

حذف للمفعول اي اوص عمالك، ولفظ (المقيم
ومابعده بدل من مفصل من مجمل، والمبدل منه
الضمير (بهم)، وبيعاً: مفعول مطلق لبيع.

وقسم أنواع التجار الى (المضطرب بماله: وهو
الذي يدور بماله من بلد الى آخر للكسب، فيجعل
ماله متاعا يدور به في البلاد البعيدة يعرض نفسه
للخطر، و(المترفق ببدنه) العامل بعضلاته، فانهم
مواد المنافع واسباب المرافق) وجاءت (المواد)
جمعا تفيد العموم، و(المنافع) جمعا معرفا مفيدا
للاستغراق، فالتجارة تحتاج الى الامتعة والى الاسواق
التي تباع فيها، فيؤخذ بدلها متاعا اخر^(١).

وجعل للفظي (أستوص، وأوص) لأنهم
يصنعون ما تحتاجه الرعية من كساء أو غذاء،

(١) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢٣٢، وظ: في ظلال النهج: ٥ /

فعلى الراعي ان يهتم بهما، ويبيّن السبب « فإنّهم مواد المنافع، وأرباب المرافق، وجلاها من المبادئ والمطارح » ينقلون سلع البلاد التي تزيد عن حاجة أهلها إلى بلاد أخرى^(١).

« فانهم سلم لا تخشى بائقته وصلح لا تخشى غائلته »^(٢)، فالتجار والصّناع (سلم) مما يدلُّ دلالة قاطعة على أنّهم في ذلك الوقت من الكادحين ممن يعيشون بكدّ اليمين، لا يثيرون الفتن، ولا يتأمرّون مع الأعداء فهم سبب لاستقرار الصلح العالمي والعام بين الشعوب. فالروابط التجارية تفيد الشعوب وتنشأ بينهم رابطة تجارية على أساس تبادل المنافع والحوائج وهي أخوية وودية، وفسرت (البائقة) بالداهية فالتجارة الحرة ليس فيها دهاء ومكرّ، وأمر بتفقد أحوال التجار لتوصيته لهم

(١) ظ: في ظلال النهج: ٥ / ٤٤٠

(٢) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٤.

بالخير، في بلادهم وفي الطرق والأماكن البعيدة. وفي الوقت الذي يوصي بهم فهو يحذر وينبه على ألاّ يحتكروا بالمصالح العليا فيخزنون السلع، ويعدّ من عيوب الولاية «واعلم - مع ذلك - أنّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً»^(١)

ف(الضيق الفاحش): حبا بالغا في جلب المنافع، و(شحا قبيحا): يمنع من السماح على سائر الأفراد بما يزيد على حاجته (و احتكارا للمنافع) بلا حد ولا حساب، (و تحكما في البياعات) يؤول ذلك الحرص الى تشكيل شركات، وانحصارات جبارة فيجمعون حوائج الناس بقوة رؤوس اموالهم. وهو باب مضرّة للعامة: أعظم من الأسر الاقتصادي، وعيبٌ على الولاية: أشنع من تسليم الامة الى هذه الأسر.

وعطف على قوله (الضيق الفاحش) قوله (تحكما في البياعات)، وهو جمع معرّف بـ(ال) يفيد العموم، في التحكم في البياعات والتسلط على الاسواق.

وقد جاءت التجارة في عهد الإمام حاملة المعنى المجازي، إذ لا يراد بها التعاملات السوقية كـ(الربح والخسارة)؛ بل المراد بها الربح المجازي المتحصل بالثواب، والأعمال الصالحة سواء أكانت الدنيوية منها أم الاخروية وقال (عليه السلام) في خطب الملاحم متحدثا عن فتنة بني امية: «مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونُساكا بلا صلاح، وتُجارا بلا أرباح»^(١).

وقد قسم العباد على ثلاثة أقسام: قسم للرغبة في الحصول على منفعة، وهذه عبادة تشبه حالة التاجر الذي يبتغي الربح في تجارة، وآخرون يعبدون

(١) المصدر نفسه.

خوفاً، ولو لم يخافوا لما عبدوه وحالتهم هذه كحالة العبد الذي يخاف من سيده فيطيعه، أما العبادة الحقيقية فهي العبادة المبنية على أن الله (سبحانه وتعالى) يستحق العبادة سواء أُنعم أم لم ينعم.

٧. الطبقة السفلى:

تعرض الامام (عليه السلام) الى هذه الطبقة فوسمها بـ(الطبقة السفلى) وتتألف من الجماهير الشعبية ممن هم عاجزون عن الحيلة والاكساب وهم (المساكين والمحتاجون وأهل البؤس والزمانة، وقسمهم على ثلاثة أصناف (القانع): السائل لحاجته والمعتز: السبيء الحال ممن لا يسأل حاجته بلسانه «ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحْتَقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُضِلُّهُ».

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ

ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَوَطُّبِينَ نَفْسِهِ
عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ
ثَقُلَ»^(١)

فقد أوصى فيهم (بحفظ حقوقهم، جعل لهم
قسما من بيت المال، جعل لهم قسما من صوافي
الاسلام، فذهب ابن ابي الحديد الى القول فيها هي
الاراضي التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب،
وكانت صافية لرسول الله فلما توفي اصبحت
للفقراء ومايراه الامام من مصالح الاسلام، ثم
أوصى بالطبقة الثالثة الى (الايتام، والمعمرون)^(٢).

فقال: «ثُمَّ اللهُ اللهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ
لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلَ الْبُؤْسَى

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٥ .

(٢) ظ: منهاج البراعة: ٢٠ / ٢٤٢، وظ: الديباج الوضي: ٥ /

وَالزَّمَنِي، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ
 لَلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً
 مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَاتِ صَوَائِفِ الأِسْلَامِ فِي
 كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلُّ
 قَدِ اسْتُرْعِيَتْ حَقَّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ، فَإِنَّكَ
 لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِأَحْكَامِكَ الكَثِيرِ المِهْمِ. فَلَا
 تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَتَفَقَّدْ
 أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُونُ
 وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ
 الخُشْيَةِ وَالتَّوَاضِعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اَعْمَلْ
 فِيهِمْ بِالْأَعْدَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ
 بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الأَنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ
 فَأَعِذِرْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْذِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ اليُسْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا
 حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى
 الأَوْلَادِ ثَقِيلٌ، وَالحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُحْفَظُهُ اللَّهُ عَلَى

أَفْوَامَ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ،

وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ. وَاجْعَلْ لِدَوِي
 الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ،
 وَتَجَلِّسْ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي
 خَلَقَكَ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ
 وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ، فَإِنِّي
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ فِي غَيْرِ
 مَوْطِنٍ: لَنْ يُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤَخِّدُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ
 مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ». ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ
 وَالْعِي، وَنَحَّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالْأَنْفَ، يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ
 بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ،
 وَأَعْطَى مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئًا، وَأَمْنَعُ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْدَارٍ!«^(١).

جاء تعبير الامام (عليه السلام) (الطبقة السفلى)
 ويلحظ شدة حرص الامام على هذه الطبقة؛

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٥.

لضعفهم وعدم امتلاك حاجاتهم . وقد أخذ الامام
(عليه السلام) الفاظ القانع، والسائل، والمعتر من
قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ
لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا
وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۗ
كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

والمحتاجين: الحاء والواو والجيم أصل
واحد، وهو الاضطرار الى الشيء. فالحاجة واحدة
الحاجات^(٢).

وأهل البؤسى: الباء والهمزة والسين أصل
واحد، الشدة وماضارعها، ويقال: رجل ذو بأس
وبئيس شجاع، فإن نعته بالبؤس قلت بؤس، وهي

(١) ظ: رسائل الامام علي: ٢٩١، علمًا أن الآية الواردة هي
الاعراف / ٣٦ .

(٢) ظ: المصدر نفسه: ٢ / ١١٤

الشدة في العيش^(١).

الزَّمنى: الزَّمنى في الذكر والانثى، وأزمن الشيء: طال عليه الزمن^(٢).

فالزاء والميم والنون أصل واحد يدلُّ على وقت من الوقت. من ذلك الزَّمان، وهو الحين، قليله وكثيره. يقال زمانٌ وزَمَنٌ وجمعه أزمنة، والزَّمانة التي تصيب الإنسان فتُقْعِده^(٣).

القناع: القاف والنون والعين أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على الإقبال على الشيء، ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس؛ والآخر يدلُّ على استدارة في شيء، فالأول الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء، والإقناع: مَدُّ اليد عند الدُّعاء. وسَمِّي بذلك عند

(١) ظ: المصدر نفسه: ١ / ٣٢٨

(٢) ظ: العين: ٧ / ٣٧٥

(٣) ظ: مقاييس اللغة: ٣ / ٢٣ .

إقباله على الجهة التي يمدُّ يده إليها^(١). والقناعة:
الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها، وهو
السائل الذي لا يلحُّ في السؤال ويرضى بما يأتيه
لقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ
كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

والعين والتاء والراء أصل صحيح يدلُّ على
معنيين، أحدهما الأصل والنَّصاب، والآخر التفرُّق.
فالأول ما ذكره الخليل أن عِترَ كلِّ شيء نصابه،
والثاني الذي يقال له المرزَنْجُوش، وهو لا ينبت الا
متفرقا^(٣)، وجاءت (من) بيانية، ولفظ الجلال (الله)
المكرر منصوب على التحذير، والمضاف إليه بعد
(كل) وتقديره (هم): وكلهم قد استرعيت حقه.

(١) ظ: المفردات: ٢ / ٥٣٤ .

(٢) الحج / ٣٦ .

(٣) ظ: مقاييس اللغة: ٤ / ٢١٧ .

«واجعل لذوي الحاجات منك قِسماً تُفَرِّعْ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع، فإنِّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في غير موطن: (لن تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يؤخذُ للضعيف فيها حقُّه من القوي غير متتبع)»^(١).

ذوي الحاجات: (أهل المسكنة) وعطف عليها بقوله (الفقر) وأختلف في معنى (الفقر): فقيل: هو من لا مال له ولا كسب، والمسكين: له مال أو كسب لكنه لا يكفيه^(٢).

وقيل بل هو العكس، فالفقير له مال لا يكفيه،

(١) نهج البلاغة: ك ٥٣، ٣٢٥.

(٢) ظ: انوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ٣ / ١٥٣.

والمسكين أشدُّ فقراً منه^(١).

وقد ذهب سُراح النهج الى اتجاهين في تعريفهم لهذه اللفظة؛ فقيل: هي تدلُّ على شدة الفقر، وقيل: تدل على خمول القدرة وركعة المهمة^(٢).

قال ابن فارس: (الحاء والواو والجيم اصل واحد، وهو الاضطرار الى الشيء)^(٣).

وفرق اللغويون بين (الحاجة والفقر) فالحاجة: القصور عن بلوغ المطلوب، والفقر:

والزمانة: العاهة، وهي العلل والأمراض التي تصيب الانسان، وقد تصيب الحيوانات وهو جمع وواحد زَمِين، فنخصص لهم الامام جزءاً من بيت

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ١٦٧ / ٨ .

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ١٧ / ٣٨، وظ:

الديباج الوضي: ٥ / ٢٥٣١

(٣) مقاييس اللغة: ٢ / ١١٤ .

مال المسلمين ومن غلات اراضي الخراج، وذهب شرّاح النهج الى أنه المتعرض للناس دون سؤالهم^(١).

فالحرص: حرس السلطان، وهو اسم مفرد بمعنى الحُرّاس كالخدّام، و(الشرط): قوم من أعوان الحكومة يعلمون أنفسهم بعلامات الخدمة يعرفون بها، المحتاجين والذين يشتكون.

«واجعل لهم قسماً من بيت مالك» أمر الامام أن يكون لهؤلاء قسماً او نصيباً من ميزانية الدولة فيكون حقاً مفروضاً كرواتب الجنود والقضاة، و«قسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد» والمراد ب(صوافي الاسلام): الأموال المشاع بين المسلمين كافة، ولا تختص بسهم النبي، وهذا ما فهمه ابن ابي الحديد، إذ عاش الامام (عليه السلام) مع المساكين، يشعر

(١) ظ: شرح النهج: ابن ابي الحديد: ١٧ / ٨٦، و ظ: الديباج

بالامهم ويوصي بهم^(١).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الموجزة مع الفاظ طبقات الرعية في عهد الامام (عليه السلام) الى الصحابي الجليل مالك الاشر (رضوان الله عليه) نوجز أهم ماتوصل اليه بحثنا من نتائج وهي:

أن الإمام (عليه السلام) وضع تقسيم اجتماعي خاص للطبقات، فاليه يرجع الفضل في تقسيمها؛ إذ وضع حماة البلاد وهم الجنود أولى طبقاته وتعليه لذلك.

أولى كل طبقة ماتستحقه وضمن حقها في العيش بسلام وأمان وحرية واطمئنان، وذلك بتوفير الخراج لتوزيعه كمعاش لمختلف الطبقات.

اعطى صفات خاصة لكل طبقة من الطبقات وماذلك الال تأكيده على أهمية الصفات الانسانية في المجتمع الاسلامي.

بدأ بطبقة الجنود؛ لأنها الطبقة الأكثر أهمية في حفظ عرض البلاد وصيانتها من الاعتداء الخارجي، وجعل طبقة الفقراء والمحتاجين آخرها، لأنها لا تقوم ولا تتكفل الا على الطبقات المتقدمة.

يعد عهد الامام (عليه السلام) وثيقة دولية لمختلف شرائح المجتمع فقد تضمن الحقوق والحريات الواجب تنفيذها من قبل الوالي الى رعيته، وفي مقابل ذلك ضمن واجبات الرعية الى الامة.

ونوصي في نهاية البحث ونأمل من الله (سبحانه وتعالى) ومن اللجنة العلمية لهذا المؤتمر أن يحظى هذا العهد بأهمية كبيرة من حيث الدراسة والبحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه المنتجبين.

المصادر والمراجع:

خير ما يتدعى به القرآن الكريم.

١. الأحكام السلطانية: لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠.

٢. الإسلام والاقتصاد: الإسلام والاقتصاد (دراسة في المنظور الإسلامي لأبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة): عبد الهادي علي النجار، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٧٨.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لليضاوي: لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) تحقيق: محمد عبد الرضا المرعشلي، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د. د. ت.

٤. الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١ هـ)، دار الشعب - القاهرة، د. د. ت.

٥. الخطاب في نهج البلاغة (بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية): د. حسين العمري، ط ١، دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠١٠

٦. الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي
« شرح نهج البلاغة » لابي الحسين يحيى بن حمزة بن علي
الحسيني (ت ٧٤٩ هـ، تحقيق: خالد بن قاسم بن محمد
المتوكل، ط ١، ٢٠٠٣

٧. رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:
دراسة لغوية، رملة خضير مظلوم البديري، العتبة
العلوية المقدسة، ٢٠١١، - موسوعة الرسائل الجامعية.

٨. السياسة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام):
السياسة المالية في عهد الامام علي: رضا صاحب
ابو محمد، ط ١، مركز الامير لحياء التراث الاسلامي،
٢٠٠٦

٩. شرح نهج البلاغة: البحراني شرح نهج البلاغة:
كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ)،
ط ١، دار الثقليين، بيروت - لبنان، ١٩٩٩.

١٠. شرح نهج البلاغة: عز الدين ابو حامد عبد الحميد
بن هبة الله المدائني الشهير بابن ابي الحديد (ت ٦٥٦ هـ)
تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ١، دار الكتاب
العربي، العراق - بغداد، ٢٠٠٥

١١. علي وحقوق الانسان: جورج جرداق، الدار

- العربية للموسوعات، ط ١، ٢٠٠٦
١٢. العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٠٠ ١٧٥ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ت.
١٣. في ظلال نهج البلاغة - محاولة لفهم جديد - محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي الغريزي، دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٥
١٤. كتاب سيبويه: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٩٩٩
١٥. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار صادر، بيروت - لبنان (د. ت)
١٦. مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ) تحقيق: أحمد الحسيني، ط ١، دار الكتب العلمية، النجف، ١٣٨٦ هـ.
١٧. المرجع في الحضارة العربية الاسلامية: ابراهيم سلمان الكروي وعبد التواب شرف الدين، ط ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧
١٨. معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت

- ٢٠٧ هـ)، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٣٣.
١٩. معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: د. نزيه حماد، ط ١، ٢٠٠٨.
٢٠. المفردات في غريب القران: لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف ب(الراغب الاصفهاني)، نزار مصطفى الباز، د. ت
٢١. مقاييس اللغة: احمد بن فرس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، د، ت
٢٢. منهج البراعة في شرح نهج البلاغة، لميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تحقيق: علي عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣
٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر: النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير، ط ١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١.
٢٤. نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه: كاظم محمدي ومحمد دشتي، ط ١، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٠

المحتويات

مقدمة المؤسسة.....	٥
توطئة.....	٩
الطبقة:	١٣
سنبداً بأولى الطبقات وهي:	١٩
١. الجنود:.....	١٩
٢. كُتَّاب العامة والخاصة:.....	٣٠
٣. قضاة العدل:.....	٣٥
٤. عمال الانصاف والرفق:.....	٤١
٥. عمال الحراج:.....	٤٩
٦. التجار وذوي الصناعات:.....	٦٥
٧. الطبقة السفلى:.....	٧٣
الخاتمة	٨٤
المصادر والمراجع:.....	٨٦